الميتاسرد في النقد الروائي المغاربي ''أشكال الخطاب الميتاسردي في القصة القصيرة المغربية''لجميل حمداوي أنموذجا

منـــى مسعي
جامعة باجي مختار – عنابة

Resume

Le roman européen s'est développé à travers de nombreuses phases. Il a commencé par des tentatives individuelles qui ont progressé pour transformer le roman d'une « écriture d'aventure » à une « aventure d'une écriture ». Ceci s'est concrétisé à travers « le nouveau roman français » dont les pionniers ont déclaré à l'unanimité, malgré leurs diverses visions créatives, que le roman n'est plus une représentation de la réalité mais une représentation de lui-même.

Les critiques français et après eux les Anglo-Américains se sont amplement intéressés à cette problématique. Ce qui les a menés à enrichir la terminologie relative à la critique anglo-américaine d'une manière plus spécifique. Ce phénomène s'est ensuite propagé pour affecter la créativité et la critique de la littérature arabe avec une disparité des terminologies utilisées entre le Moyen-Orient et le Maghreb arabe en raison des différentes relations d'acculturation avec l'Occident.

Ce document de recherche tente d'appréhender ce phénomène dans certains écrits critiques du Maghreb en se référant aux nombreux termes qui y sont utilisés ainsi qu'aux concepts et aux procédures qui l'ont traité. Il propose également une étude approfondie de l'un de ces écrits en particulier, à savoir: «Formes du discours métanarratif dans la nouvelle marocaine » de Jamil Hamdaoui.

الملخّص:

تطورت الرواية الأوروبية عبر مراحل متعددة، بدأت في شكل محاولات فردية وتواصلت إلى أن تحولت الرواية من "كتابة مغامرة" إلى "مغامرة كتابة". وكان ذلك مع "الرواية الجديدة الفرنسية" التي أجمع روادها رغم تنوع رؤاهم الإبداعية، على أن الرواية ما عادت تمثيلا للواقع بل أصبحت تمثيلا لذاتها. وقد اهتم النقاد الفرنسيون وبعدهم الأنجلو–أمريكيون بهذه القضية، فتعددت المصطلحات التي أنتجوها خاصة في النقد الأنجلو–أمريكي. وقد انتقلت هذه الظاهرة إلى الأدب العربي إبداعه ونقده. فتباينت المصطلحات التي استعملت للتعبير عنها بين المشرق والمغرب بسبب اختلاف علاقات المثاقفة مع الغرب. وقد عنت هذه الورقة البحثية بتتبع هذه الظاهرة في بعض الكتابات النقدية المغاربية. من خلال الوقوف على عديد المصطلحات التي استعملت فيها. وكذا المفاهيم والإجراءات التي تناولتها مع تخصيص إحدى هذه الكتابات بالدراسة المستفيضة، وهي "أشكال الخطاب الميتاسردي في القصة القصيرة في المغرب" لجميل حمداوي.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

مقدمة:

عرفت الرواية الغربية وخاصة الفرنسية محاولات تجديدية متعددة منذ مطلع القرن العشرين، توجت في خمسينيات القرن العشرين بظهور اتجاه روائي عرف بالرواية الجديدة الفرنسية، كان أهم أقطابه: نتالي ساروت وآلان روب غرييه وميشال بيتور وكلود أولييه وروبير بانجيه وكلود سيمون وجان ريكاردو. ورغم الاختلافات الموجودة بين روايات هؤلاء الكتاب، إلا أنهم أجمعوا على رفض تقنيات الرواية التقليدية، وكونها انعكاسا وتمثيلا للواقع، فكان منهم أن غيروا علاقة الرواية بالواقع، فبدل أن كانت انعكاسا له، صارت هي التي تصنعه. وهي خلال ذلك لا تكون تمثيلا لشيء من خارجها، بل أصبح محل اهتمامها هو طريقة إنتاجها لنفسها، لذلك طرح أبرز منظري هذا الاتجاه الروائي وأغزرهم إنتاجا "جان ريكاردو"، مفهوما جديدا لهذه الرواية التي ما عادت كتابة مغامرة بل مغامرة كتابة، كما أنها لم تعد مرآة يتجول بها على طول الطريق، بل أصبحت تمثيلا لذاتها. فظهر في النقد الفرنسي مصطلح "التمثيل الذاتي L'autoreprésentation " ومصطلح " الميتامحكي Métarécit " للتعبير عن هذه الظاهرة، أما في النقد الأنجلو أمريكي فـــ "ظهرت مجموعة من المصطلحات التي حاولت أن تغطي هذا المفهوم الجديد منها مصطلحات ما فوق الرواية Surfiction والرواية النرجسية Narcissitic novel وتخريفات Fabulation والرواية الفائقية Super fiction وخارج الرواية Para fiction والرواية الانعكاسية Reflexive novel وغيرها، إلا أن مصطلح ما وراء الرواية Méta-fiction هو الذي هيمن على الممارسة النقدية."(1)

أما عند انتقال هذه الظاهرة إلى الرواية العربية ونقدها، فقد تباينت المصطلحات المستعملة للتعبير عنها بين مشرق ومغرب، نظرا لاختلاف علاقات المثاقفة مع دول الغرب. فكان النقد المشرقي أكثر تأثرا بالنقد الأنجلو-أمريكي، بينما المغاربي أكثر تأثرا بالنقد الفرنسي.

وقد تعددت الدراسات المغاربية التي بحثت في تواجد هذه الظاهرة في النصوص الإبداعية، وكيفية تجليها. وكان من أبرزها "الميتاروائي في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب" لسعيد يقطين،

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

و"الميتانصية في أدب ما بعد الحداثة العربي" لمحمد بوهرور، و"الميتاروائي في أعمال إلياس خوري الروائية" لمحمد الباردي، و "أشكال الخطاب الميتاسردي في القصة القصيرة بالمغرب" لجميل حمداوي، ورغم أهمية هذه الدراسات النقدية في علاقتها بالظاهرة المدروسة إلا أنها تفاوتت من حيث القيمة العلمية، لكن هذا التفاوت محكوم بعوامل متشابكة تصعِّب علينا إصدار أحكام دقيقة حول أيها الأفضل. لكني وجدت أكثر هذه الأعمال شهرة وتداولا وحضورا في كثير من الكتابات اللاحقة للدراسات المذكورة هو بحث جميل حمداوي. فارتأيت استجلاء أسباب هذا الذيوع والنظر فيما إذا كان سببه عنوان الدراسة أم مضمونها؟ لذلك كان عنوان هذا البحث "الميتاسرد في النقد الروائي المغاربي: "أشكال الخطاب الميتاسردي في القصة القصيرة بالمغرب" أنموذجا.

فكان منطلقي البحث في: كيف تعامل النقاد الروائيون المغاربة مع الميتاسرد مصطلحا ومفهوما؟ وهل ثمة اتفاق بينهم في استعمال مصطلح بعينه للدلالة على هذه الظاهرة الكتابية؟ للوصول إلى الأنموذج التطبيقي والبحث في: كيف تمثل جميل حمداوي مختلف المفاهيم التي تداخلت وتعالقت مع هذا المفهوم (الميتاسرد)؟ وهل تمكن الناقد من ضبط الصلات بينها؟ وهل قدم فعلا ما يمكن الاصطلاح عليه في النقد العربي عموما والمغاربي خصوصا بـــــــــــ"أشكال الخطاب الميتاسردي" كما هو مثبت في عنوانه؟ لذلك ارتأيت البدء أولا بضبط مفهوم الميتاسرد ومصطلحاته، اعتمادا على استقرائها من عدة مصادر عربية، كان أكثرها –قصدا- مغاربيا. والانتقال ثانيا إلى عرض الخلفية النقدية التي يفترض أن حمداوي سينطلق منها ويبني عليها، معتمدة وصف هذه الدراسات وتحليلها. لأصل ثالثا، إلى دراسة حمداوي وما قدمه فيها حول الميتاسرد مصطلحا ومفهوما وإجراء، معتمدة على نقد النقد في الوقوف على ما قدمه، وعلى النقد المقارن في ربطه بأعمال سابقيه المغاربة. لأختم هذه الورقة البحثية ببعض النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

أولا: مدخل مفاهيمي.

يستعمل مصطلح "ميتاسرد Méta-Narration" عند كثير من النقاد مرادفا للميتارواية " إذ "يبدو أن نزعة ما وراء السرد أو ما وراء الرواية (أو الميتاسرد) méta-narration هي أيضا جزء من انفجار "الميتا" وتناسلها الذي شمل جميع العلوم (...)."[2].

حيث يعرّف الميتاسرد بكونه " وعي ذاتي مقصود بالكتابة القصصية أو الروائية يتمثل أحيانا في الاشتغال على إنجاز عمل كتابي أو البحث عن مخطوطة أو مذكرات مفقودة وغالبا ما يكشف فيها الراوي أو البطل عن انشغالات فنية بشروط الكتابة مثل انهماك الراوي بتلمس طبيعة الكتابة الروائية."[3]

وهذا ما يجعل مصطلح الميتاسرد يستعمل مرادفا لمصطلحين هما " Métafiction " و" Métaroman"، وإن تحرينا الدقة سنقول أن الأول يغلب استعماله في النقد المشرقي، بينما الثاني في نظيره المغاربي.

ورغم اختلاف المصطلحين في لغتهما الأصلية إلا أنهما يترجمان في أغلب الأحيان بالمصطلح نفسه"الميتارواية".

أما في أغلب الكتابات النقدية التي عالجت قضية الميتاسرد ــالتي أمكنني الإطلاع عليها- فإنها تترجم المصطلح بماوراء الرواية أو تعرّبه بالميتارواية. ويقدم مفهومها كالتالي:" ما وراء الرواية هي بشكل كلي ما وراء النظرية السردية وموضوعها هو الأنساق الروائية التخييلية ذاتها (...) إن هذه الانعكاسية الذاتية الحادة لما وراء الرواية ناجمة عن حقيقة أن الحقيقة المؤكدة الوحيدة بالنسبة لكاتب ما وراء الرواية (الميتاروائي) metafictionist هي حقيقة خطابه نفسه، لذا ينقلب تخييله الروائي على نفسه مُحوّرا عملية الكتابة إلى موضوع الكتابة."[4] وبعضهم يترجم هذا المصطلح بـــ "ما وراء القص" كما فعلت أماني أبو رحمة في كتابها الذي جمعت فيه مجموعة دراسات نقدية حول الرواية التي احتوت هذه الظاهرة، حيث عنونت الكتاب بـــ"جماليات ما وراء القص".

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

أما الترجمة الحرفية ل Métaroman فهي ماوراء الرواية أو الميتارواية وهي: "من الظواهر الميتانصية التي استأثرت باهتمام النقد الروائي الأوروبي واالأمريكي والعربي أيضا، حيث انصب البحث فيها على جانبين كبيرين: التعريف بالميتارواية وأشكالها وبنياتها، ثم تفسيرها باعتبارها ظاهرة أدبية ذات أبعاد ثقافية وسوسيولوجية."(5)

ولما تم اعتبار الميتارواية تأمل الرواية لذاتها، كان "موضوع التأمل يتمثل في المكونين الأساسين للرواية وهما: المحكي واللغة."(6) وهذا ما أقامت عليه ليندا هيوتشن تعريفها للظاهرة قائلة: "الميتارواية [...] هي الرواية عن الرواية، أي الرواية التي تدمج داخلها تعليقا حول هويتها السردية و/أو هويتها اللغوية." (7) وقد استعمل بارت " هذا المصطلح من خلال حديثه عن كيفية تحضير الرواية comment préparer le roman باعتبار حديث الرواية عن الرواية خطابا واصفا، فالأدب الواصف Métalittérature عنده هو كل الكتابات التي يفصح فيها المؤلف عن مخططاته ومشاريعه المتعلقة بالكتاب الذي سيقوم بكتابته."(8)

ثانيا: ظاهرة الميتاسرد في بعض الدراسات النقدية المغاربية.

1- الميتاروائي في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب لسعيد يقطين

استعمل سعيد يقطين مصطلح "الميتارواية" فقدمه دون أي تبرير لاختياره ،كأن الأمر محسوم والنقاد العرب –والمغاربة منهم على وجه الخصوص- متفقون حول المصطلح. أما عن تأطيره للظاهرة ورسمه حدودها فقد بدأ من كونها ارتبطت بمرحلة من مراحل تطور الكتابة الروائية عند الغرب. فتابع هذه المراحل في الأدب الفرنسي، إذ "تتطور الرواية من القصة "الجيدة" إلى تكسير القصة إلى إنتاج مزدوج يدمج فيه إبداع القصة بنقدها: ننتقل من الرواية إلى "الميتارواية" مرورا بالرواية الجديدة أو "اللارواية"."(9) وهذا يوافق تصور جان ريكاردو الذي مايز بين أطوار الرواية الفرنسية على اعتبار علاقتها بالتمثيل والتعبير.(10)

ولما هم الناقد البدء في حديثه عن الميتا روائي عدل عن الرواية الجديدة الفرنسية صوب الرواية الأنجلو-أمريكية، ....وتحدث عن رواية ما بعد الحداثة التي " تقدم فهما جديدا ومختلفا عن طرائق

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

إنتاج الخطاب الروائي، سواء على مستوى القصة أو الخطاب، لكن أهم سمة تتميز بها(...) هي [أن] إنتاج الخطاب الروائي يتم مرتبطا بالوعي به"[11] وأحال على كلام "باتريسيا واو" أن كاتب هذه الرواية " في الوقت الذي يبدع عالما متخيلا، يقدم إفادات وتصريحات حول إبداع ذلك العالم المتخيل."[12] وبهذا وصل يقطين إلى المفهوم الذي يرتضيه للميتاروائي.

ويمايز يقطين بين شكلين من الميتاروائي " الأول يأتي على شكل بنى نصية صغرى ترتبط بإحدى البنى النصية الأساسية وتقيم معها علاقة خاصة أينما وجدت تلك البنية الأساسية في النص. وفي الشكل الثاني يأخذ الميتاروائي شكل بنية نصية كبرى لها شبه استقلال عن بنية نصية أصلية وإن كان تعلقها بها خاصا ومتميزا عن الأولى في الشكل الاول. نسمي الأول "الميتاروائي الخاص" تمييزا له عن الشكل الثاني "الميتاروائي العام"."[13]

رأى يقطين الميتاروائي الخاص يتجسد من خلال مستويين اثنين:

أ- الصوت السردي: فهو غير مشارك في القصة ولا في أحداثها.

ب- المحتوى السردي: لا يساهم في تطوير عالم القصة وإغناء محتواها."[14] ومن هنا يكون هذا النوع أقرب ما يكون إلى مفهوم الميتارواية باعتبارها خطابا واصفا.

أما الميتاروائي العام قد حصرها في:

أ- تصحيح ما قدم في "الروائي" وتقويمه.

ب- ملء ثغرات تركها الراوي عنوة لأسباب خاصة."[15]

والحقيقة أن متأمل هذا الكلام النظري عن هذا النوع الميتاروائي وعلاقته بالروائي، وكذا متابعة التحليل التطبيقي للروايات المختارة للتمثيل (دليل العنفوان لعبد القادر الشاوي، ولعبة النسيان لمحمد برادة، وعين الفرس للميلودي شغموم)، يرى أن هذا النوع هو أقرب ما يكون إلى التقعير بنوعيه. إذ لما يقوم الميتاروائي (أيا كان منتجه) بتصحيح مسار الحكي وتقويمه فإننا أمام ما سماه جان ريكاردو التقعير المنازع ، ولما يتولى الميتاروائي مهمة سد فجوات الحكي فإننا أمام التقعير الكاشف.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

2- الميتاروائي في أعمال إلياس خوري الروائية لمحمد الباردي[16]

يعالج محمد الباردي قضية "الميتاسرد" بشكل جديد حيث ينطلق من تصور جونيت لMétalepse حيث يقول الأخير: " كل تطفل من السارد أو المسرود له خارج القصة على الكون القصصي (أو من شخصيات قصصية على كون قصصي تال إلخ) أو العكس.. يحدث أثر غرابة إما مضحكة.. وإما خارقة، وسنشمل هذه الانتهاكات كلها بمصطلح الانصراف السردي".[17] ويقدم الباردي الانصراف على أنه يشمل نوعين من العلاقات النصية، حيث " يتخذ الانصراف الأول المتمثل في خطاب السارد أو الشخصية عن كل ما له علاقة بالسرد شكل الميتاسردي ويتخذ الانصراف الثاني الذي يتمثل في إدراج قصة لا علاقة لها بالقصة التي يرويها السارد والتي تنقل السرد من مستوى إلى آخر شكل الحكاية المرآوية."[18] وهو بهذا يميز نظريا بين نوعين من العلاقات صعب على كثير من النقاد غيره التمييز بينهما. وهما: الميتاسرد (وما يقابله من استعمالات عند النقاد المغاربة والعرب عموما، مثل الميتارواية والميتاقص ...) والتحوير ، وهو المصطلح الذي ارتضاه الباردي ترجمة ل La mise en abyme. فقدم مفهوما لهذا الأخير- ناقلا إياه عن لوسيان دالينباك- ثم قدّم نوعيه تبعا للوظيفة التي يؤديها في النص، حسب رأي ريكاردو (وقد تم تقديمهما سابقا).

وقد ضبط الباردي مصطلح métarécit ومفهومه من وجهة نظر جونيت، رابطا إياها بـــــ "ميتا أدب" بارت. وإن كان في ذلك تجاوزا لفكرة "التمثيل الذاتي" عند ريكاردو رغم كونها أوضح وأجلى مما قدمه بارت في سنة 1964، وأسبق مما قدمه جونيت سنة 1983.

لكن نجد الباردي قد ردم شيئا من هذه الهوة الزمنية بوقوفه عند ما قدمه فيليب هامون الذي تجاوز ما قدمه بارت، من خلال المقال الذي كتبه الأول سنة 1977، وقد عنونه بـــــــ " النص الأدبي واللغة الواصفة"، بيّن فيه أهم وسائل تجلي أو تحقق الميتاسرد، وهي الشخصية والسارد. و لم يتوقف الباردي عند هذا الحد في ضبطه للظاهرة المدروسة بل قدم أيضا رأي بيار فان دينوفال

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

Pière Van DenHeuvel الذي تحدث عن الخطاب على الخطاب حيث يفرعه إلى ثلاثة أنواع :

"- الخطاب على خطابي: ويعني به الخطاب المنقول النصي الذاتي le discours rapporté autotextuel (...) الخطاب على خطابه ويعني به الخطاب المنقول التحليلي le discours rapporté commentatif(...)خطابه على خطابي ويعني به الخطاب المنقول الانعكاسي (...)." (19) وبهذا يكون الناقد قد عضد ما ذهب إليه منذ البداية وهو التفريق بين الميتا أدب بما فيه الميتارواية (وهو النوع الأول) عند دينوفال، والتقعير (وهو النوع الثالث)، والميتانص (وهو النوع الثاني). وهنا تجدر الإشارة إلى أن الباردي جمع بين النوعين الأول والثاني عند حديثه عن الميتاسرد في المدونة الروائية التي اختارها. والملاحظ مما سبق أن الباردي في تناوله للميتاروائي لم يهتم بعلاقته بالإبداع من حيث تاريخ ظهوره فيه وتطوره أو علاقته بتيار معين من الرواية، إنما اهتم بالتنظير له عند السرديين.

ثالثا: أشكال الخطاب الميتاسردي في القصة القصيرة بالمغرب لجميل حمداوي.

يحصر حمداوي في توطئته لهذه الدراسة، أهدافه في ثلاث نقاط هي: تعريف الميتاقص، وتبيان تاريخ الخطاب الميتاسردي إبداعا ونقدا، مع رصد وظائف هذا الخطاب، وتبيان أشكاله في القصة القصيرة بالمغرب.

نبدأ من التعريف، وهذا يوقفنا عند المصطلح أولا.

أول استعمال لمصطلح الميتاسرد قدمه حمداوي باعتباره ترجمة ل Métarécit . وهنا أفترض بداية أن هناك اضطرابا في المصطلح. فالسرد يقابل "Narration" ، ومصطلح récit يترجمه أغلب نقاد الرواية المغاربة بـــــ: المحكي. وهو عند غيرهم حكي وعند فئة أخرى حكاية. ويترجم حمداوي المصطلح نفسه في الصفحة نفسها بـــــ "الميتاقص"، وقد مضى في استعماله على امتداد الدراسة على هذا النحو. كما أنه لم يكلف نفسه عناء التأصيل للمصطلح ولا المفهوم.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

بدأ حمداوي بـــــــ"**مفهوم الميتاسرد ومصطلحاته**" فعرف الميتاسرد قائلا:"يقصد بالميتاسرد أو الميتاقص (Métarécit) ذلك الخطاب المتعالي الذي يصف العملية الإبداعية نظرية ونقدا، كما يعنى هذا الخطاب الوصفي برصد عوالم الكتابة الحقيقية والافتراضية والتخييلية، واستعراض طرائق الكتابة وتشكيل عوالم متخيل السرد، وتأكيد صعوبات الحرفة السردية، ورصد انشغالات المؤلفين السراد، وتبيان هواجسهم الشعورية واللاشعورية، ولا سيما المتعلقة بالأدب وماهيته ووظيفته، واستعراض المشاكل التي يواجهها المبدعون وكتاب السرديات بشكل عام."[20] نعته بكونه خطابا واصفا لكنه لم يشر إلى مكان تواجده أي داخل النص السردي نفسه. والملاحظ أن حمداوي بهذا المفهوم لم يخرج عن دائرة الميتارواية كما قدمه النقاد الفرنسيون وكذلك النقاد المغاربة الذين عالجوا هذه القضية، وكذلك مفهوم الميتاتخييل كما قدمه النقاد الأنجلو-أمريكيون.

غير أن ما تجدر الإشارة إليه افتقار المفهوم الذي قدمه الناقد إلى بعض الضبط إذ ظاهر كلامه يدل على أن كل خطاب واصف للسرد هو ميتاسرد، والحقيقة أنه لا يكون ميتاسردا حتى يحتويه النص السردي نفسه. ورغم بساطة هذا التفصيل إلا أنه مهم جدا في ضبط المفهوم.

ويضيف الباحث" ويعني هذا أن الخطاب الميتاسردي كتابة نرجسية قائمة على التمركز الذاتي، وسبر أغوار الكتابة الذاتية، والتشديد على الوظيفة الميتالغوية بمفهوم رومان جاكبسون Roman Jakobson زد على ذلك، يسائل الخطاب الميتاسردي طرائق تكوّن الإبداع ونشأته، ووصف عملية الكتابة وخطواتها، ورصد التناص والمناص والنص الموازي، وتبيان أنواع التداخل بين النص الإبداعي والنص الميتاسردي، هل هو قائم على التأطير التعاقبي أو التناوبي أو المتوازي أو المتقاطع؟!"[21] وقارئ هذا الكلام يبدأ في قراءته ظانا أن الناقد أتى به شرحا لما سبقه لكن عند الانتهاء منه يجد نفسه أمام خلط جديد. فنعت الميتاسرد بكونه كتابة نرجسية، وبكونه مساءلة لطرائق تكون الإبداع ونشأته ووصف الكتابة وخطواتها، مفهوم ومقبول ومتفق حوله من قبل النقاد. ولكن الذي يستوقفنا في كلام الناقد هو أن الخطاب الميتاسردي هو الذي يرصد التناص والمناص ويبين أنواع وطرائق التداخل بين النص الإبداعي والنص الميتاسردي. فنتساءل: أليس النقد

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

هو الذي يقوم بهذه العمليات؟ فهل يخلط حمداوي بين النقد كمجال واسع رحب، وبين الميتاسرد باعتباره آلية كتابية تتم من خلال استحضار بعض الأفكار النقدية في متن النصوص السردية، للتعبير عن ذاتها؟ فكأني بالناقد يخلط بين ما يحقق الميتاسرد كمفهوم عام وهو تواجد النقد ضمن النص الإبداعي، وبين بعض وسائل تحققه وتواجده ضمنه.

وينتقل حمداوي إلى ما يراه توسيعا لدائرة الميتاسرد ، فيقول: " لم يعد الخطاب الميتاسردي أو الميتاقص اليوم مجرد تضمين أو تداخل النصوص السردية، بل يتخذ عدة أشكال تتعلق بالتناص، والنص الموازي، والعتبات، والبناء السردي، والخطاب النقدي، والخطاب التنظيري، ومتخيل القراءة، وتعدد السراد والرواة، وميتاسرد الشخصية، وتكسير الإيهام السردي، ورصد عوالم الكتابة، وشرح تكوّن السرود انبناء وتشكيلا وتركيبا."[22] ما نلاحظه على هذا الكلام بداية أنه خلط بين الميتاسرد –بالمفهوم الذي اتفق عليه مبدعوه ومنظروه من النقاد الغربيين أولا، ومترجموه من النقاد العرب ثانيا– وبين مفهوم التناص (في قوله: لم يعد(...) مجرد تضمين أو تداخل للنصوص السردية). أما ما سماه الناقد أشكالا ، فأظنه كلاما يحتاج إلى كثير نظر أؤجله إلى موضعه الأنسب من الدراسة.

ويرجع الناقد عن ذلك لما يضيّق مفهوم الميتاسرد في كونه "تبيان كيفية تفكير القصة أو الرواية أو الحكاية في نفسها أو ذاتها بطريقة نرجسية أو مرآوية ذاتية." [23] ولا يخفى أن هذا هو مفهوم التمثيل الذاتي الذي قدمه جون ريكاردو، والذي تحدثت عنه فرونسواز فان غوسوم غويون في خاتمة ملتقى الرواية الجديدة: أمس، اليوم وكذلك الناقد ميشال مانسوي Michel Mansuy الذي يقول تعليقا على رواية "المتاهة" لآلا ن روب غرييه: " رأينا أن السارد ينغلق على نفسه ويبني قصة بلا شيء تقريبا، ليست النتيجة هي ما يهمه، لكنه فعل الخلق [الإبداع]. إنه ينجز محكي ولادة المحكي. إنه يقدم مشهد الخيال الذي يتخذ نفسه موضوعا، الخيال المتخيِّل أنه يتخيل (l' imagination imaginant qu' elle imagine)."[24]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

وبعد تقديم حمداوي مصطلح الميتاسرد مرادفا للميتاقص، وتقديم مفهوم له، نجده يقدم كثيرا من المصطلحات التي رأى أنها أطلقت على الخطاب الميتاسردي عربيا وغربيا. وكانت كالتالي: الميتاسرد (Métarécit) ، والميتاقص،والميتاتخييل(Métafiction) ، والتشخيص الذاتي، والرواية المرآة،والرومانيسك Romanesque ، والروائية، والتضمين (l'enchassement ،والحكايات المتضمنة (Histoire intercalées)، أو المحكي المؤطر (récit encadré)، أو القصة داخل القصة (le récit dans le récit)، أو الحكايات الملحقة أو خارج النص (Hors- texte)، وميتا خطاب (métadiscours)، أو السرد أو الأدب النرجسي narcissisme littéraire، والميتاشارح Métarécit، والخطاب الميتاسردي، والخطاب الميتالغوي. والحقيقة أن ذكره لهذه المصطلحات لم يزد الدراسة وضوحا ولا بناء، إذ إنه ذكرها بعد شوط من الدراسة كان قد انتخب فيه مصطلحا معينا ومضى في استعماله مع المفهوم الذي ارتضاه له. كما أنه ذكرها دون مفاهيم ولا ربط لها بمنتجيها وهذا ما يبقيها ملغزة بالنسبة للقارئ.

أما عن وظائف الخطاب الميتاسردي فقد جعلها ثمانية عشرة وظيفة، لا بد من ذكرها حتى تتسنى لنا مناقشتها وهي كالتالي:[25]

1- إغناء السرد وإثرائه نقدا وتخييلا وتوجيها.

2- تصوير الكتابة الإبداعية، ورصد عوالمها التخييلية.

3- خلق نص سردي بوليفوني، متعدد الأصوات، والأطروحات، واللغات، والأساليب، والمنظورات الإيديولوجية.

4- تكسير الإيهام بالواقعية لإبعاد الوهم والاستلاب عن المتلقي.

5- فضح اللعبة السردية، وكشف آلياتها الفنية والجمالية أمام المتلقي.

6- التأرجح بين التخييل الإيهامي والحقيقة الواقعية.

7- ربط المستوى السردي بالمستوى الميتاسردي.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

8- شرح الإبداع السردي وتفسيره وتنظيمه والتعليق عليه.

9- ربط النص السردي بملحقاته الخارجية أو الداخلية.

10- تحديد السرد القصصي بنية ودلالة ورؤية، وتطويره تجريبا وانزياحا وتحديثا.

11- تحقيق الوظيفة الميتالغوية أو الميتاسردية.

12- إشراك المتلقي أو القارئ في بناء اللعبة السردية تخييلا وتوهيما.

13- تجاوز الرواية الواقعية نحو التجريب والحداثة وما بعد الحداثة.

14- ممارسة النقد داخل النص السردي تنظيرا ونقدا.

15- تنويع المستويات السردية ودرجاتها (السرد من الدرجة الأولى ، والسرد من الدرجة الثانية —مثلا-).

16- تحويل عالم الكتابة والقص والسرد إلى موضوع للكتابة السردية والتخييل الإبداعي.

17- تقويض المواضعات والأشكال القصصية المهيمنة باسم الاختلاف والتفكيك والتثوير والتجريب والتحديث.

18- معرفة تشكل النص السردي أو القصصي، وإبراز مراحله التكوينية."[26]

وبعد القراءة المتفحصة لكل هذه الوظائف، أتساءل هل يحتاج التدليل على أن الميتاسرد ظاهرة كتابية متميزة ومهمة في سيرورة وتطور العمل السردي، حشد هذا الكم الهائل من الوظائف؟

يبدو لي أن طرح الوظائف بهذا الشكل حمل شيئا من المبالغة —لعله كان كثيرا-، إذ بإمكاننا جمعها واختصارها في ستة وظائف بجمع بعضها مع بعض كونها أجزاء فكرة واحدة تم بسطها في عدة عناصر. سأحاول جمعها عل شكل معادلات تجنبا للتكرار، فتكون كالآتي:الأولى= 1 + 8 + 14.

الثانية = 2 + 5 + 12 + 16 + 18.

الثالثة = 3 + 15.

الرابعة = 4 + 6 + 10 + 13 + 17.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

الخامسة = 9.

السادسة = 7 + 11. واعتبرها وظيفة سادسة بتحفظ شديد، لأنها تكاد تكون من فضول الكلام. وبعدها انتقل إلى التأريخ للميتاسرد كظاهرة إبداعية عند العرب والغرب، بدأ بالحديث عنه عند الغرب، – بخلط وتذبذب بين حضوره في الإبداع وفي التنظير– فأشار إلى وجوده في الرواية الكلاسيكية، خاصة عند بلزاك ومثل بـــــــ "الأب غوريو"[27]

ومع ذلك يرى"أن الخطاب الميتاسردي لم يتشكل في الحقيقة إلا مع الرواية الجديدة الفرنسية، والرواية السيكولوجية أو ما يسمى بتيار الوعي، وروايات تيل كيل، وروايات ما بعد الحداثة. وقد اهتم كتاب الرواية الجديدة (...) بتقنيات الكتابة الميتاسردية متأثرين في ذلك بالدراسات البنيوية الشكلانية والسيميائية والبلاغية."[28] ثم استدل بكلام الباردي حول التمثيل عند الروائيين الجدد حيث " عمق بعض كتاب الرواية الجديدة ونقادها هذا المفهوم، ونظروا له، فكلود سيمون يرى أن اللغة لا تفرق بين ما هو واقعي ومتخيل، وان الغاية من الكتابة هي اكتشاف تحقق معجزة الكتابة ذاتها."[29] وصولا إلى التمثيل الذاتي عند ريكاردو، الذي تعرض" –بدوره– إلى مفهوم الرواية– المرآة مبينا أنه ذو صلة بمفهوم القصيدة الرومنطيقية باعتبارها مرآة للروح، ومؤكدا أن الرواية لم تعد مرآة يتجول بها طول الطريق، بل هي أثر مرايا تفعل في ذاتها من كل ناحية. وهي، بالتالي، لم تعد تشخيصا، بل هي تشخيص ذاتي. وقد اتبع روبير بانجي ألان روب غرييه في موقفه هذا قائلا: " كل ما يمكن أن نقوله أو أن نعنيه لا يهمني، ولكن ما يهمني هو طريقة قوله."[30]

والملاحظ هنا أن حمداوي يمزج بين ممارسة وتنظير الميتاسرد عند الروائيين الجدد وقد كان بإمكانه الفصل بين حضوره كظاهرة إبداعية في الرواية الجديدة، والتنظير له في الكتب النقدية التي ألفها منظروا الرواية الجديدة. والحقيقة أن حضور الميتاسرد باعتباره تداخلا بين النص الإبداعي والنقدي " خضع عبر تاريخ الممارسة الإبداعية لتوجهين: أحدهما عفوي غير خاضع بالضرورة لوعي بآليات الظاهرة وأبعادها، وثانيهما واع يترجم اختيارا جماليا وفكرا تحكمه خلفية نظرية يمكن نعتها بالحداثة الأدبية والنقدية."[31]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

بالنسبة للتنظير يرى حمداوي أن الميتا سرد حضر في النقد الغربي منذ مطلع القرن العشرين، مع الناقد "موريتز قولدشتاين (Moritz Goldtein) الذي قدم سنة 1906 دراسة نقدية حول الميتاسرد بطريقة علمية عميقة وممنهجة، حيث درس السرد داخل السرد في **"ألف ليلة وليلة"**."[32]

والملاحظ أن الظاهرة هنا هي التناص وقد تكون تقعيرا حسب علاقة هذا السرد بالقصة الأصلية، ، إن كان تلخيصا يكون تقعيرا وإن كان غيره يكون تناصا. واستشهد بقول شلوفسكي: "إنه بإمكاننا أن نحدد عددا من أنماط القصص القصيرة التي تصلح إطارا لقصص قصيرة أخرى، والتي هي، بالأحرى، طريقة لتضمين قصة قصيرة، قصة قصيرة أخرى، إن الوسيلة الأوسع انتشارا هي سرد هذه القصص أو الحكايات بغية تأخير اكتمال هذا الحدث أو ذاك..."[33] والملاحظ أن هذا الكلام يكاد يتطابق مع مفهوم التقعير[34] لا الميتاسرد.

وبعدها ذكر مجموعة من الدراسين قال أنهم اهتموا بالميتاسرد، مع ذكر عناوين دراساتهم في بعض الأحيان، دون ذكر محتوى هذه الدراسات. وقد كان ذكرها على امتداد صفحتين دون أية إضافة، خاصة وأن ما سبقها من كلام حمل خلطا كبيرا بين عدة مفاهيم أهمها التقعير والتناص والتمثيل الذاتي. لذلك يصعب الجزم ان هذه الدراسات فعلا قد تناولت ظاهرة الميتاسرد.

أما فيما تعلق بالحقل الثقافي العربي ، فلم يزد عما فعله مع الظاهرة في الثقافة الغربية. إذ أشار إلى وجود الميتاسرد في بعض السرود العربية القديمة وتحديدا وحصرا ذكر "ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة"، " كما تبلورت نصوص روائية وقصصية ميتاسردية حديثة ومعاصرة منذ سنوات الستين من القرن العشرين، إذ اعتبرت الخاصية الميتاسردية مظهرا من مظاهر التجريب والحداثة، تنفرد بها الرواية أو القصة العربية الجديدة ونصوص ما بعد الحداثة".[35]

وعلى خلاف حديثه عن اهتمام الدارسين الغربيين بالخطاب الميتاسردي، نجده يتحدث عن نقد ميتاسردي عند العرب قائلا: " أما فيما يتعلق بالنقد الميتاسردي في ثقافتنا العربية، فثمة مجموعة من الأبحاث والدراسات والكتب والمقالات التي تناولت ظاهرة الميتاسرد بشكل من الأشكال، ولا

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

سيما مع ظهور المقاربات البنيوية والسيميائية السردية بصفة خاصة."[36] وهذا الربط يؤكد على فهمه للميتاسردي على أنه تناص ومتعاليات نصية .

وبعدها انتقل حمداوي إلى الجانب التطبيقي في دراسته فبدأ بالحديث عن أشكال الخطاب الميتاسردي، دون أية إحالة على مصدر هذه الأشكال سواء اعتبرنا أخذه بمفهوم التمثيل الذاتي عند ريكاردو، أو التعالي النصي عند جونيت. فما هي هذه الأشكال وما علاقتها بالمفهوم الذي قدمه للميتاسرد ؟ وهل استطاع الناقد عرضها بمنأى عن تأثرها بالخلط الذي تبدى في المفهوم الذي قدمه للظاهرة؟

أول ما يثير انتباهنا هو عدد هذه الأشكال التي رصدها حمداوي للميتاسرد، وقد جعلها أربع عشرة شكلا. فهل فعلا تحتاج هذه التقنية الكتابية الجديدة إلى هذا العدد من الأشكال حتى تتجلى قيمتها الفنية؟! وقبل الولوج فيها علينا أن نتفق حول المقصود بها. فإن كان قصد الناقد أنواع الميتاسرد، فإن كثيرا منها لن يدخل في خانة الأنواع ولن يصلح لأن يكون كذلك، أما إذا قصد الوسائل أو الوسائط التي يتجلى من خلالها الميتاسرد في النص السردي، فبعضها سيحقق هذا الفهم، .لذلك أرى أن الأمر بحاجة إلى إعادة تأطير أو هيكلة، لكن قبل ذلك سأذكرها بالترتيب الذي قدمه الناقد، حيث كانت كالتالي: التداخل السردي، والتنظير الميتاسردي، والنقد الميتاسردي، وميتاسرد الشخصيات، وميتاسرد القراءة والتلقي، والبناء الميتاسردي، والعتبات الميتاسردية، والتناص الميتاسردي، والتضمين الميتاسردي، وتكسير الإيهام الواقعي، والاستطراد الميتاسردي، والمتناص الميتاسردي، وميتاسرد الكتابة، وميتاسرد الرواة والسراد.

من خلال تتبعنا لهذه الأشكال يتبين أن بعضها ليس إلا حديثا عن ماهية الميتاسرد بنوعيه –إن أمكنني تسميتهما كذلك– وهما ما يتعلق بعالم الكتابة وما يتعلق بعالم القراءة؛ مع التمثيل من بعض النصوص القصصية. وبعضها الآخر هو مجموعة وسائل أو آليات تكون قوالب تصب فيها الأفكار الميتاسردية المتعلقة بعالمي الكتابة والقراءة. أما بعضها الآخر فلا يزيد عن كونه حشوا أو

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

تكرارا لبعض الوسائل الآنف ذكرها. ومن هنا نحاول إعادة تقسيم هذه الأشكال حسب انتمائها وفق ثلاث مجموعات .

الأولى تضم: التداخل الميتاسردي، والتنظير الميتاسردي، والنقد الميتاسردي، وميتاسرد القراءة، والبناء الميتاسردي، وميتاسرد الكتابة.

والثانية تضم العتبات الميتاسردية، وميتاسرد الشخصيات، والتناص الميتاسردي، وميتاسرد الرواة والسراد.

أما الثالثة فتضم: التضمين الميتاسردي، وتكسير الإيهام الواقعي، والاستطراد الميتاسردي، والمتناص الميتاسردي. ولتعضيد ما ذهبت إليه في هذه الهيكلة، سأقدم الأشكال بعرض المفاهيم النظرية التي قدمها الناقد لها، مع بعض الأمثلة التي قدمها من المدونة القصصية التي اختارها.

والبداية ستكون بالأشكال التي ضمنتها في المجموعة الأولى، وهي كالتالي:

1-التداخل السردي:

لم يفصح الناقد عما يقصده بهذا الشكل بكلام نظري، بل آثر البدء بالتمثيل له مباشرة. فقدم المثال الأول قائلا: "ينتقل المؤلف/ السارد في قصة : **"الرحالة البرغوث"** لجمال الدين الخضيري من قصة الميتاسرد المتعلقة بعوالم الكتابة تخييلا وإبداعا إلى قصة الطبيب زيد الذي أرسل إلى القرية ليلقح أهلها من الأمراض المعدية، فيقع في غرام سونيا الحسناء. ومن ثم سيخضع سرد القصة لمنطق التناوب، فمرة يتحدث الكاتب عن الميتاسرد، ومرة أخرى ينقل لنا قصة الطبيب زيد في صراعه مع ذاته، وصراعه مع الواقع وصراعه مع عالم الكتابة، وهكذا، دواليك..."[37] وقدم مقطعا من القصة الميتاسردية-حسبه- ومقطعا من قصة الطبيب. ثم قدم مثالا ثان عن هذا الشكل من خلال قصة: "الآخر"لمحمد أيت حنا، وأضاف إشارة إلى التداخل السردي " عند بديعة بنمراح في قصتها: "وفاء".

والملاحظ أن الأمثلة التي قدمها الناقد لهذا الشكل الميتاسردي لا تزيد عن كونها تمثلا لمفهوم الميتاسرد، لأن هذا التداخل بين التخييل والحديث عن الكتابة وعوالمها هو ما أدخل النصوص

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

المشار إليها ضمن الميتاسرد، وربما ما يؤكد عدم ضبط الناقد لحدود هذا الشكل، ما ختم به حديثه عنه، حيث قال: "وهكذا، فقد كان الخطاب الميتاسردي القائم على تداخل القصص معروفا في السرد العربي القديم والحديث على حد سواء، وكان يتخذ عدة مصطلحات في علم السرد الحديث، وخاصة عند جيرار جنيت Gérard Génette، مثل: التناوب، والتعاقب، والتقاطع، والتأطير،...ويهدف هذا الشكل من الميتاسرد إلى تنويع الخطابات القصصية، وخلق بوليفونية حدثية وشخوصية وفضائية ولغوية وأسلوبية. وما زال تأثير **"ألف ليلة وليلة"** بارزا على كتاب هذا الشكل من أشكال الخطاب الميتاسردي في القصة القصيرة المغربية، نظرا لوجود ظاهرة القص داخل القص."[38] والحقيقة أن هذا الكلام يؤكد على الخلط الحاصل بين عدة مفاهيم عند الناقد. يخلط بين تقنيات سردية عامة مثل: التناوب، والتعاقب، والتقاطع، والتأطير كما نظر لها علماء السرد وهي مشتركة بين أنماط مختلفة من الروايات. وبين بعض التقنيات التي نظر لها منظروا الرواية الجديدة كالتقعير.

التنظير السردي:

وقال فيه حمداوي: "هناك مجموعة من القصص القصيرة بالمغرب تسعى إلى التنظير إبداعا وكتابة، ومثّل ببعض الروايات المغربية التي تفعل ذلك. فالملاحظ ان الناقد هنا يتحدث عن الميتاسرد بمفهومه الدارج عند جل النقاد الذين تحدثوا عن هذه الظاهرة . وانتقل بعد هذا التمهيد المقتضب إلى الحديث عن تواجد هذا الشكل الميتاسردي في القصص القصيرة المغربية، من خلال بعض نماذجها. حيث عد " قصة: **"الجارية وقد صارت ملكا" لعدنان ياسين** من النماذج القصصية المغربية التي وظفت خطابا تنظيريا، يرد في شكل ميتاسرد أو لغة وصفية متعالية موضوعية، ترصد خصائص الإبداع القصصي تقنية وبناء وتشكيلا، حيث يدعو القاص إلى قصة حداثية تجريبية قائمة على (...) تدمير وحدة التتابع المنطقي والزمني، واستعمال تقنية التداعي، والإكثار من المنولوجات المختلفة ، والاستعانة بالتناص والتضمين، والاستفادة من الطريقة السنمائية المشهدية، بتوظيف تقنية السيناريو، وخلخلة أفق انتظار القارئ..."[39] وينتقل إلى مثال

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

ثان مع " قصة **" هواجس على هامش السرد" لمحمد فري،** فقدم مقتطفا من القصة يتناول أفكارا نظرية متداخلة مع خواطر السارد حول الكتابة.

النقد الميتاسردي:

أول ما يستوقفنا في هذا الشكل هو اسمه بداية، كأنه يوحي بوجود نقد ميتاسردي وآخر ليس كذلك ، وأظن أن ضبابية هذا المصطلح تعود بدورها إلى قلة الضبط في مفهوم الميتاسرد، فالنص لا يكون ميتاسردا حتى يحضر فيه النقد، وعندها لا أظننا بحاجة إلى إضافة "الميتاسردي" إلى النقد، خاصة أن هذا المصطلح لم يتعرض له –فيما أعلم- كثير من النقاد الذين عالجوا هذه الظاهرة غربيا وعربيا. وقدم حمداوي أمثلة عنه، منها قصة "الرحالة البرغوث" لجمال الخضيري، الذي "وظف ما يسمى بالنقد الميتاسردي أو الخطاب النقدي، حيث وظف بعض المقاطع السردية لتقديم تصورات نقدية تتعلق بعالم الكتابة، إذ حصرها الكاتب في توثيق الأحداث بحثا وتحقيقا، وتكسير الأزمنة، وتنويع الفضاءات القصصية، وتخريب المعمار السردي، وتحريض الشخصية على التمرد على سلطة الكاتب أو المؤلف."[40] وهنا نتساءل ما الفرق بين الشكل السابق -كما اعتبره الناقد- للميتاسرد وهذا الشكل؟ وأضاف الناقد مثالا آخر من قصة **"الموعد"، لـــ عبد العالي بركات** يمارس مارس النقد فيها. ويختم حمداوي بقوله :" ومن هنا يبدو أن مساحة النقد الميتاسردي ما تزال ضيقة في القصة القصيرة بالمغرب إلى جانب التنظير الميتاسردي، لأن هذه القصة لا تهتم إلا بتشخيص الذات والواقع معا، وإن تقررت –مرة ما- أن تجرب الخطاب الميتاسردي، فإنها تكتفي بظاهرة التضمين أو بظاهرة تداخل القص، أو ترصد عوالم الكتابة ومتخيلها الشعوري واللا شعوري فقط."[41] وهذ الكلام تضييق لحضور فكرة الميتاسرد في القصة المغربية. فالتضمين وتداخل الخطابات هي ظواهر كتابية أخرى قد يحضر فيها البعد الميتاسردي، وقد لا يحضر أصلا.

البناء الميتاسردي:

ويعني به حمداوي: " ما يتعلق ببناء القصة على مستوى التحبيك والتخطيب. ويعنى هذا تبيان مجمل الطرائق والكيفيات التي يبني بها الكاتب عالمه القصصي، وذلك بتوضيح كيف تفكر القصة

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

في نفسها أو ذاتها، عبر فضح مكوناتها الفنية والجمالية، ومناقشة تفاصيلها البنائية وجزئياتها التكوينية بالمساءلة والوصف والنقد والتقويم"[42] وهنا نتساءل ما الذي يفرق بين هذا الشكل وغيره من الأشكال ؟ وما يعطي هذا التساؤل قوة هو كون الأمثلة التي قدمها هي نفسها التي كان قد قدمها في الأشكال السابقة . فنجد المثال الأول لشكيب عبد الحميد من قصته " ملهاة كازيمودو" كان قد مثل به لميتاسرد القراءة والتلقي.

ميتاسرد الكتابة:

يقول فيه حمداوي: "تستند كثير من القصص القصيرة بالمغرب إلى استعراض تجارب الكتاب القصاصين، وصراعهم مع الذات والموضوع والكتابة، وذلك في قالب سردي نرجسي يركز فيه الكاتب على ذاته المهووسة بشهوة الإبداع وحرقته، مع رصد شهاداتهم الإبداعية كتابة وإبداعا وتنظيرا ونقدا، وسعيهم إلى استحضار طقوس الكتابة، وتعداد فضاءاتها وكيفياتها وتقنياتها الفنية والجمالية والتخييلية."[43] وإذا كان هذا الكلام النظري يتماشى مع مفهوم الميتاسرد، أما الأمثلة التي قدمها فليست كذلك إذ لا يقف عند تنظير أو نقد بل مجرد كلام عام عن علاقة الكاتب بالكتابة.

ميتا سرد القراءة والتلقي:

في مقابل كل الأشكال التي سبق ذكرها، والتي رأينا أنها تنويعات لأحد أنماط (أنواع) الميتاسرد وهو الخاص بتمثل عوالم الكتابة في السرد. نصل مع هذا الشكل –بتعبير حمداوي- إلى النمط (النوع) الثاني، وهو الخاص بتمثل عوالم القراءة في السرد. حيث "لاحظ منظروا ما وراء القص أن القارئ شريك دائم في جريمة صناعة المعنى"[44] يقول حمداوي: "تحضر صورة التلقي كثيرا في القصص الميتاسردية المغربية التي استفادت من جمالية القراءة أو نظرية الاستجابة أو التقبل، حيث يصبح المتلقي طرفا في عملية التصوير والكتابة والتخييل، كما يتضح ذلك جليا في هذه الصورة التي يستحضر فيها **محمد صوف** القارئ المفترض ليشارك المبدع عملية الإبداع والتأويل."[45]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

ص24. وأضاف " وقد اهتم القاص المغربي **عبد الحميد شكيب** بتحبيك صورة المتلقي في قصته: **"ملهاة كازيمودو"**، ثم مثّل أيضا بـــ : "قصة **:"الآخر" لمحمد أيت حنا.** [46]

وباستيفاء الأشكال التي ارتأيت جمعها في المجموعة الأولى أنتقل إلى المجموعة الثانية والتي كان الرابط بين عناصرها كونها وسائل وآليات يتحقق من خلالها البعد الميتاسردي في النصوص وهي :

العتبات الميتاسردية:

وعنها يقول حمداوي: "تتحول عتبات النص الموازي (العناوين، الإهداءات، والمقدمات، والهوامش، والحواشي، والأيقونات، والصور، وكلمات الغلاف، والمقتبسات...) إلى خطابات ميتاسردية في مجموعة من القصص القصيرة بالمغرب."[47] وأما عن الامثلة التي يقدمها فيقول: " ونذكر من بين هذه العتبات المقدمة التي يكتبها المبدع ليوجهها إلى المسرود له، يشرح فيها تصوراته النظرية والنقدية، ويسرد مختلف الحيثيات التي دفعته إلى نشر مجموعته القصصية.

ويقدم حمداوي مجموعة من العتبات تضمنت الميتاسرد " ويساهم المصطفى كليتي بدوره في تثبيت الملحقات الميتاسردية (...) ولا سيما في قصته: **"الإرهابي"** وقصة **"حكاية بذيل ورأس مقطوع"**، وقصة **"حكاية عن راي واسع النظر"**... هذا، ويتحول الإهداء إلى عتبة ميتاسردية في مجموعة **"في ضيافة المتنبي" لإدريس اليزمي ."**[48] والجدير بالذكر في هذا السياق، أنه إذا كانت هذه نماذج تعبر عن تحققات الميتاسرد عبر العتبات، فماذا عن قول الناقد عن بعض الأمثلة "ومن جهة أخرى تشير بعض القصص القصيرة بالمغرب إلى إشكالية تثبيت العنوان، وما يثيره من مشاكل عويصة بالنسبة للمؤلف السارد أثناء عملية الاختيار والانتقاء."[49] هذه ليست عتبة ولكنه حديث عن إشكالية العنوان أثناء متن القصة، وهي قضية متعلقة بعالم الكتابة، ليس موضع الحديث عنها في هذا الشكل. وعلى منوال هذا المثال سارت غيره من الامثلة في هذا الشكل الميتاسردي-حسب حمداوي-.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

ميتاسرد الشخصيات:

حيث يقول حمداوي: " تركز بعض القصص القصيرة المغربية على تصوير صراع الشخصية القصصية مع الشخصية الميتاسردية التي تتراقص بين سطور النص النرجسي للمؤلف السارد تعاليا وسيطرة، فتفرض وجودها الميتاروائي على مخيال ذلك الكاتب الضمني، بل قد تتمرد تلك الشخصية على خطة السارد، فتعلن انشقاقها ورفضها لرؤية السارد وهيمنته."[50] وهنا نتساءل ما المقصود بالشخصية الميتاسردية؟ فكأن شخصيات العمل القصصي هي كائنات واقعية والشخصية الميتاسردية هي شخصية تخييلية لذلك استطاع الناقد أن يمايز بينها، في حين أن الأمر بسيط تتولى بعض الشخصيات القصصية أو شخصية واحدة في عمل ما نقل مجموعة أفكار ميتاسردية داخل المحكي، فنقول في هذه الحالة أن الشخصية كانت وسيلة تحقق الميتاسرد في هذا العمل. أما أن تنعت الشخصية بالميتاسردية فأظن أن حمداوي كان بدعا بين النقاد بتقديمه مثل هذه المصطلحات.

ثم مثّل بقصة " الرحالة البرغوث" التي تقاطعت فيها شخصية زيد الطبيب الكاتب، وشخصية البرغوث وهو مجرد رحالة.[51] ويختم هذا الشكل بقوله: "وهكذا، تبين لنا بأن ميتاسرد الشخصيات يحضر في القصص القصيرة مركزا على صورة التقابل بين الشخصية المخيالية في السرد والشخصية الميتاسردية. ويعبر هذا التقابل الفني والجمالي عن التقاطع الموجود بين الحقيقي والخيالي."[52] فالملاحظ أنه يعيد استعمال مصطلح الشخصية الميتاسردية مجددا ويقابل بينها وبين الشخصية المخيالية، بل يذهب إلى جعله تعبيرا عن التقاطع بين الحقيقي والخيالي، فما المقصود هنا أي الشخصيتين تعبر عن الحقيقي: الشخصية الميتاسردية أم المخيالية؟ وأيهما تعبر عن الخيالي؟!

التناص الميتاسردي:

افتتحه الناقد بقوله: "يترك التناص، بكل آلياته المضمرة، وتقنياته الجلية، ترسباته الواعية واللاواعية في مجموعة من القصص القصيرة بالمغرب. ومن ثم، يتجسد إحالة ومعرفة خلفية فوق مساحات القص، ليمارس لعبة الميتاتخييل أو الميتاقص"[53] فكأني بالناقد يجعل حضور التناص يحول

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

النص العادي إلى نص ميتاسردي، خاصة إذا آزرنا هذا المفهوم الفضفاض بالأمثلة التي قدمها، وقد مثلت هذه الأمثلة تناصات لا تحمل تنظيرا ولا نقدا للقصة. وعليه أتساءل إذا كان حضور أي جزء من نص أدبي في نص آخر (سواء عنوانه أو شخصية من شخصياته أو ...)هو تناص ميتاسردي فما هو الفرق بين التناص والتناص الميتاسردي؟ ولعل إجابة هذا السؤال بسيطة لو أننا نضبط العلاقة بين التناص والميتاسرد، بعد أن نذكر بالفرق البسيط والواضح بينهما، وهو كون التناص آلية كتابية تحمل مفهوما معروفا ومتفقا حوله، بينما الميتاسرد هو ظاهرة كتابية تقوم على دمج نوعين من الكتابة: إبداعية ونقدية. أما العلاقة بينهما فتتمثل في كون التناص هو أحد وسائل تحقق الميتاسرد في النص السردي.

ميتاسرد الرواة والسراد:

لم يقدم الناقد مفهوما لهذا الشكل بل بدأه مباشرة بتقديم الأمثلة، وبدأها بكون " **محمد فري** في مجموعته القصصية يتعامل مع تعدد السراد والرواة والذوات من خلال رؤية بوليفونية، كما يبدو ذلك واضحا في قصته **"مشكلة امرأة" :** "القصة هذه المرة ليست لي، بل هي لسارد آخر، قال لي قرأها قديما، منذ عهد مراهقته (...)وبذلك أنفي عني كل تهمة بالانتحال أو ..السرقة..فالعهدة على السارد الأول.. وما أنا إلا سارد ثان مسخر لقلم كاتب معين.. قال لي ساردي الأول(...)"[(54)] إذن فالمقصود بهذا الشكل ورود الميتاسرد على ألسنة السراد والرواة لا المؤلف.

وهذا ما أقره كثير من النقاد الذين درسوا ظاهرة الميتاسرد في أصولها، حيث يرى _تمثيلا لا حصرا- أومندسن أن " تطفل السارد قد يكون شخصيا، حين يشير إلى فعل الكتابة أو إلى حياة الكاتب الحقيقية، أو قد يكون مقاربة نظرية، وتعليقا على عملية الكتابة من ناحية نظرية."[(55)] إذن فالحديث في هذا الشكل عن إحدى وسائل تحقق الميتاسرد، وهي "السارد" الذي يتولى تقديم الأفكار الميتاسردية في النص السردي.

وبهذا لا يبقى من الأشكال التي قدمها حمداوي للميتاسرد، إلا ما أرى أنه حشو كان بإمكان الناقد عدم الوقوف عنده أصلا، وهذه الأشكال هي:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

التتضمين الميتاسردي:

لم يربط الناقد هذه الظاهرة بالميتاسرد لا من قريب ولا من بعيد؟ خاصة أنه لم يحدد طبيعة العلاقة بين القصة المؤطِّرة والقصة المؤطّرة، فالاحتمالات كثيرة تبعا لهذه العلاقة فإما أن تكون الظاهرة الكتابية المقصودة هنا هي السرد الحلزوني، وإما ان تكون تقعيرا،...

تكسير الإيهام الواقعي: جعل حمداوي هذه الخاصية الدالة على الكتابة الجديدة الثائرة على الواقعية كلها شكلا ميتا سرديا، غير أن تكسير الإيهام الواقعي كغيره من مؤشرات الكتابة الجديدة لا يدخل في نطاق الميتاسرد إلا إذا تم الحديث عنه بشكل نقدي في متن النص السردي قصة كان أم رواية. وقد يقول قائل في هذا السياق أن حمداوي قد أشار إلى أن الكاتب يعلن عن أن عالمه تخييلي. فأقول أن حمداوي لم يركز في شرحه لهذا الشكل على هذا المعنى و لم يعضده بالأمثلة التي تفند فهمنا لخلطه بين الخروج عن الوهم الواقعي كتقنية روائية جديدة وكشكل من أشكال الميتاسرد، وبل حدث العكس ،إذ قدم مثالا تحول معه السؤال من لماذا اعتبر الناقد كسر الإيهام شكلا ميتاسرديا؟ إلى أين كسر الإيهام الواقعي أصلا ؟

الاستطراد الميتاسردي: فلم يزد عن كونه مجموعة تناصات، قدم أمثلة حولها. فالسؤال الذي يطرح : إذا افترضنا أنه يصنف التناص على أنه ميتاسرد، فقد تم الحديث عنه سابقا، فلماذا هذا التكرار غير المجدي؟

المتناص الميتاسردي (56) : قدم أمثلة فهمنا منها أننا أمام تناص، لكن لا نستطيع الوقوف عند هذا الفهم، لأنه قال في البداية أن الأمر ليس مجرد تناص بل فيه تفاعل وحوار. وقال في أحد مثاليه أنها "علاقة تفاعلية". ومن هنا أرجّح أن ما يقصده بالمتناص هو علاقة الاتساع النصي التي قدمها جيرار جونيت في "أطراس". لكن التساؤل الذي يفرض نفسه هنا هو . سواء كان تناصا أو اتساعا نصيا لماذا عده حمداوي ميتاسردا دون أن يربطهما به من قريب أو بعيد.

وفي ختام هذه الورقة البحثية نصل إلى جملة نتائج أهمها:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

-يخلط كثير من النقاد المغاربة بين ظاهرتي الميتاسرد والتقعير، باعتبارهما علاقة للمحكي بذاته ، ولكن رغم صحة هذا الكلام إلا أن هناك خيطا رفيعا يفصل بينهما، إذ إن التقعير هو وعي للمحكي بذاته دون خروج من دائرة الحكي أو السرد، بينما الميتاسرد هو الآخر وعي للمحكي بذاته لكن وسيلته فيه خروج عن الحكي داخل المحكي.

- قسّم يقطين الميتاروائي قسمين: أحدهما خاص والآخر عام، وقد رأينا أنه بمتابعة المفاهيم التي قدمها لهما وإسقاطها على الروايات التي طبق عليها، أن الخاص هو جزء من الميتاسرد كمفهوم عام، باعتباره يتناول الأفكار المتعلقة بالحكي التقليدي أوالواقع أوالواقعية ، أما الميتاروائي العام بالمفهوم الذي قدمه يقطين، فإنه يمثل التقعير بنوعيه المنازع والكاشف.

- اهتم الباردي بالفصل بين التقعير والميتاسرد، حيث اعتبر أنهما نوعي الانصراف السردي، وهذا من الإضافات التي لم يتنبه إليها كثير من النقاد العرب، لكنه لم يشر إلى علاقة التقعير بالميتاسرد وكون الأول قد يكون أحد وسائل تحقق الثاني في النصوص السردية.

- رغم ذكر جميل حمداوي لكثير من الدراسات التي تناولت قضية الميتاسرد، فإننا لاحظنا عدم استفادته من الدراسات التي قدمت قبله في هذا الموضوع من قبل نقاد عرب كفاضل ثامر، وأخص من ذلك مغاربة كمحمد الباردي وحبيب بوهرور وأخص منه نقاد من المغرب الأقصى كسعيد يقطين وحسن يوسفي.

- تميزت دراسة جمداوي بالزخم الإصطلاحي وكثرة التفريعات من غير وجه ضرورة، مع عدم مراعاة القارئ -لا أقول غير المتخصص، بل المتخصص -الذي لم يحط بهذه القضية بعد.

-عدم مراعاة حمداوي الدقة في طرح كثير من المصطلحات النقدية وعدم ضبط العلاقات والحدود بينها، إذ وجدنا الناقد في كثير من السياقات يتعامل مع الميتاسرد باعتباره نقدا وفي هذا إقصاء للفيصل بينهما وهو أن تواجد النقد في الإبداع هو ما يحوله إلى ميتاسرد. كذلك بين مصطلح التناص وبعض المتعاليات النصية. وكذلك الخلط بين التناص والتقعير ، وبين الأخير والميتاسرد.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

الهوامـــش

1)- فاضل ثامر:"**ميتاسرد ما بعد الحداثة"**، مجلة الكوفة، السنة1، العدد2، شتاء 2013، ص67.

2)- المرجع نفسه، ص63.

3)- المرجع نفسه، ص63-64.

4)- المرجع نفسه، ص75.

5)- حسن يوسفي، **المسرح والمرايا**، شعرية الميتامسرح وانشغالها قي النص المسرحي الغربي والعربي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، 2008، ص25.

6) - المرجع نفسه، ص25.

7) - حسن يوسفي، **المسرح والمرايا**، ص27. نقلا عن .Linda Hutcheon-Narcissistic Narrative-p1

8) - حسينة فلاح، **الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي**، منشورات مخبر تحليل الخطاب، 2012، ص17.

9)-سعيد يقطين، **الميتاروائي في الخطاب الروائي المغربي الجديد**، مجلة مواقف، العدد 70-71، فبراير 1993،ص 192.

10)- ينظر مقدمة كتابه " **Nouveau Problèmes du Roman** ".

11)- سعيد يقطين، **الميتاروائي في الخطاب الروائي المغربي الجديد** ، ص 191.

12) -المرجع نفسه، ص191.

13)- المرجع نفسه ، ص193.

14)- المرجع نفسه ، ص 194 .

15)- المرجع السابق ،ص 203.

16)-تمثل هذه الدراسة فصلا من كتاب الناقد المعنون بـــ**"سحر الحكاية المروي والراوي والميتاروائي في اعمال إلياس خوري.**

17)- جيرار جونيت، **خطاب الحكاية**، ترجمة محمد معتصم وآخرون، منشورات الاختلاف،ط3، 2003، ص245-246.

18) - محمد الباردي، **سحر الحكاية: المروي والراوي والميتاروائي في أعمال إلياس خوري**، مركز الرواية العربية،تونس، ط2004،1، ص153.

19)- المرجع نفسه ، ص163- 164.

20)- حمداوي جميل ، **أشكال الخطاب الميتاسردي في القصة القصيرة بالمغرب**، سنة 2009 ، ص5.

21) - المكان نفسه .

22)- المكان نفسه.

23) - جميل حمداوي، المرجع نفسه ، ص6.

24) - Jean Ricardou et Françoise Van Rossum-Guyon; Nouveau Roman ,hier, aujourd'hui, problèmes généraux, 10-18, 1972, p87.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

25)- حمداوي جميل ، **أشكال الخطاب الميتاسردي في القصة القصيرة بالمغرب**، ص6-7.

26) - المرجع نفسه ، ص7.

27)وهذا ما تؤكده دراسة " Françoise Van Rossom_ G uyon ,Balzac: la littérature réfléchie. Discours et autoreprésentations. وهي عبارة عن مجموعة مقالات كانت فرونسواز بدأت في إصدارها متفرقة منذ 1979إلى 1994، وقامت بنشرها سنة2002 تحت رعاية قسم الدراسات الأدبية لجامعة مونتريال .

28)جميل حمداوي، المرجع السابق ، ص8.

29) محمد الباردي، **الرواية العربية والحداثة**، دار الحولر، سوريا،ط2002،2، ص82.

30)المرجع نفسه ، ص82.

31)حسن يوسفي، **المسرح والمرايا**، ص23.

32)- جميل حمداوي، **أشكال الخطاب الميتاسردي في القصة القصيرة بالمغرب**، ص9.

33)- مجموعة مؤلفين، **نظرية المنهج الشكلي**، تر: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين،1982، ص142.

34)- عرف ريكاردو التقعير بكونه " تمرد بنيوي من فقرة من المحكي على المجموع الذي احتواها" وجعله نوعين هما التقعير الكاشف والتقعير المنازع. ينظر: **قضايا الرواية الجديدة**، ص182.

35) - جميل حمداوي، **أشكال الخطاب الميتاسردي في القصة القصيرة بالمغرب**، ص11.

36) - المرجع نفسه ، ص12.

37)- المرجع نفسه ، ص14.

38)- المرجع نفسه ، ص17.

39) - المرجع نفسه، ص18.

40) - المرجع نفسه ، ص20.

41) - المرجع نفسه ، ص22.

42)- المرجع السابق، ص 27-28.

43)- المرجع نفسه ، ص44.

44)-مجموعة مؤلفين، **جماليات ما وراء القص: دراسات في رواية ما بعد الحداثة**، ترجمة: أماني أبو رحمة، ص17.

45) - جميل حمداوي، **أشكال الخطاب الميتاسردي في القصة القصيرة بالمغرب**، ص24.

46)- المرجع نفسه ، ص25.

47)- المرجع نفسه ، ص31-32.

48) - المرجع نفسه ،ص 33.

49)- المرجع نفسه ، ص 34.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360

50)- المرجع نفسه ، ص 22.

51) - ينظر المرجع نفسه ، ص 22-23.

52)- المرجع نفسه ، ص 24.

53)- المرجع نفسه ، ص35-36.

54) - المرجع نفسه ، ص43.

55)- مجموعة مؤلفين، **جماليات ماوراء القص: دراسات في رواية ما بعد الحداثة**، ص16.

56) - جميل حمداوي، **أشكال الخطاب الميتاسردي في القصة القصيرة بالمغرب** ، ص43.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1360